

بقائى من أجلها، عن حقى بك واختفائه المحير، قلت إن الغربية لم ترهقنى لأننى أعيشها دائماً. وأقسى غربة ما كانت فى الوطن، حدثتها عن دخيلتى عندما لبت موعدى. تمنيتُ لو أوقف كل من أعرفه أو يقع فى دائرة بصرى لأخبره بالنبا العظيم، أن أفيض على الآخرين، أن أحقق بعضاً مما سعت إليه، استرداد حيوية الدفقة والبهجة، فى زمنى الأول كنت قادراً على استحضارها بالقليل من الجهد واليسير من الزاد، مطلع أغنية، انحناءة نغم، هبوب نسيم، تحرك غُصَّين، ملامح مجهولة عابرة. عطفة مؤدية، أما الآن فلا بد من تغيير أشد لتحقق الانطلاقة، لا بد من مفارقة ديار وعبور بواد.

قلتُ إننى عانيت الغروب فى إستانبول، تتوحد عتاقة المدينة باختفاء الشمس، فتبدو اللحظة قاسية، ثقيلة الوطأة، قلتُ إننى لم أصغ إلى صوت يفيض بالشجن مثل الأذان الذى أستمعُ إليه فجراً، قلتُ إننى جثت من قبل، ورأيت منها ما أثارنى فى حينه، لم أخبر عن الإشراقة المفاجئة، مرسله الأزرق والأصفر وافتقاده الجدوة عند مرورى بالمكان عينه. المكان.. ما المكان؟ قديماً كنتُ أردد ما يعنى ثبات الموضع وتغير الوقت، لكننى أدرك متأخراً أن المكان بزمانه، المحل بوقته، بما يحويه، فإذا انقضى الحال ذوى المكان أيضاً، حتى وإن وطئته نفس الأقدام، واحتوته النظرات عينها!

تتجه إلىّ بينما العربية تستدير عند نهاية طريق منحني.. أعرف هذا